ما هيّ التّأويليّة؟

Qu'est-ce que l'interprétation ?

تأليف : جان غراندن**Jean GRONDIN**

تعريب: بلقناديل عبدالقادر

جامعة: تلمسان- قسم العلوم الإنسانية (جوان2015)

I-التأويليّة الفيلولوجيّة

II-التأويليّة الفنّية

III-التأويليّة الترجميّة

IV-التأويليّة القانونيّة/القضائيّة

V-تأويليّة "حُضُورِنَا فِي الْعَالَمِ"

Jean GRONDIN.
http://www.mapageweb.umontreal.ca/textes_htm/interpretation.pdf(consult 23-03 In.SKEPSIS (2004,126-131)

تمهيدٌ

للتَّمهيد، يَطيب لنا القول عن **التأويليّة** l'interprétation ما كان (أرسطو – Aristote) يقوله دائما في كتاباته الميتافيزيقيَّة، عن **الْوُجُودِ** l'Etre : « pollachos legetai ؛إنه حمال لعدة وجوه ».

حتّى وإن قيل، بأنّ أيّ **تحليل فلسفيّ**، لن يصل إلى بلوغ منتهاه، سوى إذا أُشتُغِلَ فيه بحثًا عن الإحاطة **بنقطة دلالة مُوحَّدة**؛ في هذه الحالة سيكون هذا التّحليل، عاجزا تماما؛ –كما يبرهن عليه مرة أخرى مثال (أرسطو)–، بما أنّ الاشتغال سينصبُّ، قبل أيّ شيء آخر، على **الإحاطة بنطاق واسع جدّا** من التّمظهُرات الممكنة لتلك **الدّلالة**:

ففي أيّ **سيّاق** وبأيّ **الطّرُق** يجري الكلام عن **التأويلية؟**

I–التأويليّة الفِيلولوجيّة (الإشتغال على النصوص)

إن لزم البدء بهـا، فذلك لأنّ الأمر يتعلّق **بنمط من التّأويليّة**، كثيراً ما يعتمد عليه **الفلاسفة**، باعتباره الأشد **تأسيساً**. بل قد يكون عندهم الأكثر **أُلفة** من البقية. فمن الصّعب جدًا، أن نتخيّل فلاسفة أو أساتذة للفلسفة، لم يتفرّغوا قطّ **لتأويليّة النّصُوص**.

يتكوَّن موضوع التّأويليَّة – ما يُطلق عليه في العموم اسم Interpretandum– ضمن هندسةٍ **متغيرة**:

لدينا **الْمُؤَوِّلُ** l'interprète , l'interprétant . لكن، حتّى الّذي قد يكون عمله **شَرْح** جملـــة، أو mot كلمـــةٍ poèmeقصيدة الأمرأيضًابـــ: مُؤَلَّفٍ–كتاب ouvrage.....وقد يتعلّق l'esprit d'une époque أو بالرُّوح السّائد في عصـــرٍ ما auteur،كاتبٍpenséeفكر

و بناء على **القاعدة العامة**، نستطيع القول بأنه **يجب علينا تأويل نصٍّ ما**، ما دام هذا النَّصُّ، يُبدي أدنى حالة من **الغمُوض**؛ وتكون **وظيفة التأويليّة** هيّ **رَفْع ذلك الغموض**، أو على الأقل، جعله **قابلا للإدراك**. 3

II– التأويليّة الفَنِّيَـــــــة

مع أنَّها مشْهورة على نطاق واسع، لكن الرَّاجح أنّه **ناذرا** ما جرى **تحليلها** من طرف **الفلاسفة**. كثيرًا ما نجدها، على نحو خاص، فيما يُطلق عليه بالفرنسية الفنون التَّأْويليَّة Les Arts D'interprétation (في الإنجليزية يقولون Performing arts بمعنى فنون اللِّياقـــــة art de performance):

الرّقْصُ la danse، **المسْرح**théâtre ، **الأُوبّرا** opéra و**المُوسِيقَى** musique...

يعني "**فعل التأويل** Interpréter" هنا أنّ ما يجري هوّ **إنجازٌ** أو **أداءٌ** لأثرٍ فنّيٍّ ما œuvre، وذلك بالاعتماد، في الغالب الأعم، على **نصٍّ** أو **مقطوعة** partition. من الصّعب جدًّا الكلام هنا، عن نصّ أو مقطوعة قد تكون قبليًّا apriori معتّمة obscure، فمثل هذا الأمر ليس منعدما تمامًا، إلا أنه إذا كانت عملية التأويل الّتي قد جرى اعتمادها requise ، لا تكون جوهرياًّ، لأجل رفع لَبْس ما une ambiguité إنّما و بكل بساطة، لأن التُّحفة الفنِّيّة **تستدعي مَنْ يؤديها**، مَنْ يقوم **بإخراجها** mise en scène من طرف من يُطلق عليهم في العادة "الممثلون les interprètes ". هذه تأويلية تتطلب نوعًا من المهارة في الأداء virtuosité (هناك صاحب الأداء الحسن والممتاز وهناك الأقل حسنًا) التي بمناسبتها يمكن الحديث عن حكم الصَّواب Justesse (فالتُّحفة إمّا تُعرض rendu عرضًا حسنًا أو سيئًا)

سيجري هنا، بكل تأكيد، تميز هذه **التأويلية الفنّية** interprétation artistique عن **التأويلية النَّقْدية** critique . هذه الّتي تأتي مستعرضة **لعملية تقييميّة** évaluation.

في استطاعة **ناقدٍ** ما يقوم بفعل تأويل interpréter تأويليَّةَ مَشْهَد ما un pièce، إلاّ أنّ عمله، ينتسب أكثر فأكثر إلى النّمَطِ **الأول** من التأويليَّة الفيولوجية أكثر من **الثاني**، حتى وإن استطاع بواسطة تلك المهارة في الأداء virtuosité، **الاقتراب** أيضا من الثاني.

III–التأويلية الترجُميَّة

على الرُّغم من أنها **تتقيّد داخل** النّطاق الّذي اتَّخذته التّأْويليَّتيْن السَّابقتين لها، في استطاعتنا تمييز **صورة ثالثة** مستقلة لتأويليّةٍ تَنْتسبُ إلى **التَّرْجَمَةِ** La traduction.

فعلاً، عادة ما يُطلق اسم **المؤوِّل** interprète على ذلك الشَّخْص الَّذي يضمن لنا الانتقال/العبور من **لسانٍ** إلى **آخر**. فعندما يلتقي رئيس الدّولة برئيس دولة أخرى وهو لا يعرف شيئًا عن اللِّسان الذي يتكلمه، فقد يحتاج إلى **مؤوّل/ تُرجُمان** interprète .

في هذا المستوى، نلاحظ أنَّ الكلام بحرص؛ خصوصًا في "التَّرجمة traduction" عندما يتعلَّق الأمر بترجمة مدوَّنات écrit، إلا أن كلمة التّأويليّة، كثيرا ما تفرض نفسها بشكل طبيعي، عندما نكون بصدد عملية مُراسلات/اتصالات **شفوية** transmissions aurales.

فإذا أمكن التعرّف فيها على **صورة** مستقلة من التأويليَّة ، فلا يتعلَّق الأمر هنا حقًّا، برفع لبسٍ ما (مثلما هو الحال في التأويلية الفيلولوجية) أو بذل الجهد في إظهار المهارة الفلسفية، حتى وإن كان هذا، وللمرة الثانية، غير مقصى إلا عند استعراض تحفة ما، إنّما بـ **ضمان عمليَّة التواصُل والفهْم**.

في **العيّنات الثلاثة**، الّتي جئنا على ذكرها، فإن التأويليَّة تُحدّد في كل مرّة، **سيْرُورَةً–عمليّة** متميزة جدًّا، ذات موهبة خاصة و هيّ مُعرَّضة باستمرار لعدة تعْديلات– ترْميمات.

IV – التأويليَّة القانونيَّة/القضائيَّة

واحدة من بين التَّعديلات الناتجة عن ذلك، لكنّها قد تعتبر **صورة** مستقلة، هي **التأويليَّة القانونيّة/القضائيّة**interprétation juridique هذه الّتي تبحث في كيفيَّة الإحاطة **بمعنى مادَّة قانونيَّة ما**، لغرض تطبيقها على عيّنة حاضرة (في الحاضر) هذه الَّتي رأى فيها رجل القانون juriste الكبير والهرمنوتيقي الإيطالي (إميليو بيتّي– Emilio BETTI)، **إحدى مُتغيّرات التأويليَّة الفلسفيَّة** وذلك ضمن نظريَّته التَّنْميطيَّته typologie المعقدة complexe لمختلف صُوَّر التأويلية الَّتي نجدها في **بحث النَّظريَّة العامَّة للتَّأويليّة** *théorie générale de l'interprétation* الّذي نُشر باللِّسان الإيطالي سنة 1955 (1)

ولكن إذا كانت هذه التأويليَّة غير مختزلة فيها، فذلك لأن التأويليَّة القانونية لا تبحث بالأولى في شرح élucide نص ما بحدّ ذاته والنَّص يبدي أي شكل من أشكال الغموض .

إنما تهدف عوضًا عن ذلك إلى فصْل الخطاب في نزاعٍ ما راهن، لهذا تحرص على عملية تأويل قانون ما بهذا النحو أو ذاك، إنها تأويلية تقيم الحق والتي ستكون هي نفسها مصدرًا تشريعيا jurisprudence. تَقوم التَّأويليَّة هنا باعتبارها في خدمة عمليَّة تطبيق ملموسة.

لكن، في عالمنا المعاصر، أصبحت كلمة تأويلية في بعض الأحيان تعيّن شيئًا أكثر اتّساعاً ample من مجرد سيرورة أو نشاط مُتميِّز.

إنَّها خصوصا على هذه الحالة منذ (نتشه Nietzsche) صاحب العبارة الشهيرة : "لا وجود لأحداث/وقائع، ثمة تأويلات وحسب"(La volonté de puissance n° 481)

إذن تأتي لفظة التأويليَّة لإقامة طابع قاعدي-تأسيسيٍّ لمصيرنا الإنساني، بلوغُ العلم بأنَّنا لا نحيا من دون تأويليَّة. هذا ما نستطيع إذن أن نطلق عليه اسم : تأويليَّة حضورنا في العالم.

V- تأويليَّة حُضُورِنَا فِي الْعَالَمِ

لطالما حضيتْ « صُورَةُ » التَّأويليَّة هذه، باهتمام **الفلاسفة**، إلا أنَّها **الأصْعب على التَّحْديد** من البقية، أخذًا بعين الاعتبار طابَعها **الكوْنيِّ/العالميِّ/الكُلِّي** universalité؛ ولكن أيضًا، انطلاقا من واقع أنَّ كل محاولة لفهْمها، تُضطرُّ، هي نفسها إلى الاعتراف بأنها، هيَّ بدورها، **مجرَّد تأويليّة**.

يكون في استطاعة هذا **الطّرح** عينه، الّذي بناء عليه « كُلُّ شَيْءٍ هُوَ تَأْوِيلِيَّةٌ » الازدواج مع **عدّة صوّر**:

1 – يمكن فهم الطَّرْح بمعنى معرفي sens cognitif؛ لا يوجد ثمّة معرفة للعالَم من دون خَطَاطَاتٍ schémes مُسْبقة préalable . حتّى إنَّ هذه التَّأويليَّة قد تكون شغّالةٌ من قبْلُ، في مستوى جهازنا الإدراكيِّ عيْنه.

2-يمكن فهمه بمعنى أيديولوجي sens idéologique؛ فكل رؤية للعالَم، قد تكون موجَّهة بواسطة مصالح صريحة، إلى درجة ما.

3- يمكن فهمه بمعنى تاريخي sens historique ؛ كل تأويليَّة هي بنت (وليدة) زمانها، ونماذجها المعرفية paradigmes وسلالمها القيميّة.

4- إلا أن **التأويليَّة اليوم**؛ غالبا ما يجري **فهمُها**، انطلاقًا من **اللُّغَةِ** langage. **اَللُّغَةُ**؛ هيَ **الحافظُة لتأْويليَّة بكاملها عن الْعَالَم**، و ها هيَ تُشكّل **مُوَلِّدَةً أساسيَّة** لكافَّة **التَّأويليَّات** الأخرى.

إنَّ أطروحة هذا **الحضور الكلّي** ubiquité للتَّأْويليَّة، تُثير بكل تأكيد، **مشكلات فلسفية عظيمة**، بما أنها تتجلَّى كإعادة نظر في فكرة **الحقيقة** نفسها، و ما يتعلَّق **بالصَّواب المعياري** justesse normative.

فإذا ما سلَّمنا بأنَّ كل شيء يعود للتَّأْويليَّة؛ فكيف يجري تقسيم/تميز مُختلف التَّأْويليَّاتِ بعضها عن بعض؟

على هذا النّحو لقد فرضت التأويليَّة نفسها، باعتبارها "**موضوعا–بحثيّاً**" thème **كوْنيّاً** لا رَجْعة فيه، لعمليَّة **التَّدَبُّرِ الفلسفيِّ**. كما يبدو أنها **آخر** موضوع–بحثي، يَسْتَعْرض مثل هذه **الكَوْنِيَّةِ الفلسفية**؛ وكل ما تبقَّى (من المواضيع–البحثيّة الأُخرى) يمكن إرجاعه إلى نوع معين من «صُورة» التَّأويليَّة هذه.

لقد جرى فهم هذا **الْحُضُورِ الْكُلِّيِّ** للتّأويليَّة، ، في حد ذاته، **بطرُق** شتى ضمْن **الفكر المعاصر**.

أ) أكثر هذه **الطرُق راهنيَّةً**، تلك التي جاءت مع (جياني فاتيمو- Gianni Vattimo)، الَّذي وحّد عصر التّأويليَّة بمصيرنا « الْمَابَعْدَ حَدَاثي »، يكون قد تخلّى عن فكرة تأويليَّة نهائيّة للواقع، و الّذي سيستخلص دروسًا عن التسامح والرَّحْمَةِ charité، من الفكرة التي بموجبها، **لا وجود ثمّة لأحداث** faits، **إنما كلّ ما هناك، تَأْويلاَتٌ فقط**. يقوم (فاتيمو) وهوّ يستلهم (نتشه-Nietzsche)، بتحويل مذهبه في الْعَدَمِيَّة nihilisme ليصبح مصيرًا مبتهجا condition heureuse. (2)

لا شكَّ أنه يُدين بالكثير لـ(هانزغيورغ غادامير- H.G.Gadamer) و(مارتن هيدغر- M.Heidegger) ، باعتبارهما أيضاً، ممثلان كبيران لهذه الأطروحة؛ **أطروحة كَوْنِيَّة التَّأويليَّة**، حتى وإن كانا بدورهما يفهمانها بِمَعْنَيَيْن **مختلفيْن**(3) للغاية.

ب) بالنسبة لـ(هايدغر-Heidgger) صاحب كتاب *Etre et temps* ، **الإنسان موجودٌ تأويليٌّ**، لأنه مُجابةٌ **لتناهيه** finitude و**لِمَواتِه** sa mortalité ، وهوّ يبحث قدر الإمكان كيف يحتضنُهُما dompter عبر **مشروع تفهُّمِيَّته** projet de compréhension. من خلال درس قدّمه سنة 1923 حول l'herméneutique de la facilité كان (هيدغر) يقول بأن **الإنسان موجودٌ هيرمنوتيقيٌّ** herméneutique لأنه:

أ) قادرٌ على... أو من شأنه التأويليَّة.

ب) بل حتى إنه في أمسِّ الحاجة إلى التأويليَّة.

ج) بل إنه يحمل، على الدَّوام، بين أحضانه تأويليَّة معينة،كما هو عليه و كما يكون عليه عالمه. (4)

حسب (هيدغر)، تعتمد هذه المشاريع في أصلها على استشرافات لعملية الفهم الإنساني compréhension humaine، قد تكون **أصيلة** authentiques إذا ما جرى صيّاغتها بمُصطلحات **صوريّة** أو تكون غير أصيلة inauthentiques إذا ما جرى استعادتها فقط، من بين المواضع المشتركة التي تثقل على كاهلنا (تدوس علينا).

لو قمنا بتعديل كلمةٍ لـ (فخته-Fichte) مشهورة، لنا أن نقول هنا، بأن « نوع الإنسان الذي نكُونُه، يَعْتَمِدُ على التَّأويليَّة التي تكون لدينا عن وُجُودِهِ ».

ج) يكون (هانزغيورغ غادامير-H.G.Gadamer) قد جمع من جهته، كوْنية التأويليَّة بذلك **المصير اللغوي لكل تَفَهُّمِيَّةٍ** comprehention. (5) إنَّها الأطروحة هي الّتي جاء مُلخَّصها في عبارته الشهيرة : «**الوجود الّذي في مقدورنا فهمه يكون لغةً** » l'être qui peut être compris est langage.

يريد أن يقول بأن **فعل التَّأويل** (interprétari) إنّما **يوجد على الدوام مجعولا في لغة للمعنى** ، لكن إنّ **موضوعه** أيضا، يتعلَّق بكلّ ما في استطاعتنا فهمه (interpretandum) و هاهوَّ يتواجد مُشَيَّدًا من حيث **هوّ لُغَة**.

د) قد تتعرف **الفلسفة التَّفْكِيكيَّة** déconstruction لـ(جاك ديريدا-Jaque Derrida) على نفسها ضمن الأطروحة أعلاه، لكن يبدو أنها تتبنّى **طريقة** متعاضمة في **شكِّيَتها** ، soupçonneuse، أكثر

"تفكيكية- Déconstructrice" تجاه المعنى الذي لا يَستعرض نفسه دائما، سوَى عبر **تأويلية لُغويةٍ**. بهذا تَستعرض هنا التأويلية نفسها عبْر حاله **ثُنَائيّة**:

01-حالة تعيسة malhereux بالمعنى الذي تكون فيه التَّأويليَّة، على علمٍ بأنها لن تفلت مُطلقًا من إمبراطورية العلامات.

02- لكنها حالة سعيدة/مبتهجة heureux بالمعنى الذي يكون من ، الممكن لها و إلى مالا نهاية له، تنويع التأويلات و الاحتفاء لعباً، بما أنها لمْ تعد تبحث قط، عن معنى أصْليٍّ خارج التأويليَّات. هذا ما دفع بـ(ديريدا) إلى **التَّمْييز** expressément بين **إستراتجيتيْن كبيرتيْن** للتأويليَّة:

الأُولى « تبحث في حلِّ الشِّفرة. تحْلُم بحلّ شفرة حقيقة أو أصْل، هاربة/بعيدًا عن لعبة وعن نظام l'ordre العلامة، وهي تعيش/تحيا ضرورة التأويليَّة باعتبارها منْفَى.»

الثَّانية « لم تعدْ تلتفت نحو الأصْل، و هاهيَّ تقرُّ باللَّعِب».(6)

يقوم (Derrida) بجمع هذه الممارسة الأخيرة للتَّأويليَّة مع « الإقرار affirmation النتْشوي، الإقرار المبتهج عن لعبة العالَم وعن براءة الصَّيْرورة، إقرارٌ عن عالَم، بلا خطيئة بلا حقيقة ولا أصل، واهباً ذاته لتأويليَّة فعَّالة».(7)

يعتقد (ديريدا) بأن هتيْن التأويليتيْن للتَّأويليَّة، اللَّتان يتَّخذهما « غير قابلتين مطلقا للوفاق »، إنهما الآن يقتسمان حقل العلوم الإنسانيَّة.(8)

في استطاعتنا القول بأن الذكاء الأول للتأويليَّة المقطَّب من طرف (ديريدا) قد يتعرف أكثر على نفسه ضمن **الأنماط الأربعة الأولى** من التأويليَّة التي جرى تميزها (الفيلولوجيَّة، الفنيَّة، الترجميَّة، القانونيَّة/القضائيَّة) في حين يصدر **الثاني** أكثر فأكثر عن ذلك الحضور الكلّي l'ubiquité للتأويليَّة، المفكَّر فيه باعتباره جهة راسخة Insurmontable لحضورنا في العالم.

يُميِّزُ (بول ريكور- Paul Ricœur) من جهته، بين مُقاربتيْن كبيرتيْن للتَّأويليَّة، تتأسَّسان على المنحى الّذي تتّخذه الذات المؤوِّلة:

هيرمونتيقا الشَّكِّ un herméneutique du soupçon

هيرمونتيقا الثِّقة un herméneutique de la confiance (9)

إذا كانت **هذه** الأخيرة (هرمنوتيقا الثقة) تستمدُّ المعنى كما هو معْطى، ترى فيه تعْبيريَّة عن إرادة أو ذكاءٍ يهب التَّفْكير؛ فإن **الأخرى** محترسة/مُحتاطة se méfie من هذا العطاء الأوَّل للمعنى، مُشَكِّكَةً بأنه يكون على الدوام متجدّدًا بواسطة « أيديولوجيا » معيّنة بواسطة مصالح مُعينة باطنية، أين يتمثَّلُ دور الهرمينوتيقا الشَّكِّية في تسليط الضوء عليها(إخراجها إلى وضح النهار).

هذا النمط من التأويليَّة الذي مارسهُ «مُعَلِّمُو الشَّكِّ.» Nietzsche، Freud... ولكن، بالإضافة إلى هؤلاء، وريثان أكثر راهنيَّة؛ (ميشال فوكو- Michel Foucault) و(جاك ديريدا- Jaque Derrida).

خلال سنوات 1970 انطلق «صراع التأويلات» conflit des interprétations ليعارض بين هرمنوتيقا (Ricoeur/Gadamer) المؤسسة على "الفنومنولوجيا" بمعنى فكر يقول عن نفسه بأنه ينْتبهُ للمعنى كما

يجري انعطاؤه، و بين نقد الأيديولوجيات La critique des idiologies الموالية للماركسية marxienne أو الفرُويْدِيَّة freudienne، التي تتحدى بتأويليَّة ما يترسّبُ في الدرجة الأولى من المعنى.

ربما لقد فقد هذا التَّصارع شيئًا من حدّته، ليس فقط لأن ثمة عددًا لا يُستهان به من المؤوِّلين مدُّوا جسْرًا فيما بين نمطيْ التأويلية (Habermas- ApeL)، بما فيهم أيضًا Ricoeur) إنما أيضًا لأنه جرى تدارك أمر أن نقد الأيديولوجيات إنما يتوضّع هو نفسه على تأويليَّة ما للواقع.

فيما وراء كافَّة هذه الصُّور التأويليَّة و كل هذه التأويليَّات للتأويليَّة، في استطاعتنا التَّساؤل عما إذا كان في وُسْعنا الاعتراف لها **بتسْمية مُشتركة**. لا يتعلق الأمر هنا الإحاطة بتعريف en bonne et due forme de l'interprétation إنما بالعرض الواضح للحِراك الجوهري.

إن **تأويليَّة نصٍّ، أداءُ مقطوعة، القيام بعمل تُرجمان، تطبيق قانون**. الحياة/العيش ضمْن **رؤية للعالَم**، سواء لأجل تقاسُمها أو بهدف تفْكيكها، ما السّبب في أن كل هذا من الممكن التعبيرُ عنه بمساعدة اللَّفظ الواحد نفسه، ذلك الذي هو التأويليَّة؟

ما يبدو أنه فكرة مسبقة/مُقتضى Présupposé داخل كل واحدة من صور التأويليَّة هذه، هو أنَّ المعنى يستدعي **وساطة** médiation عملية بثٍ/إرسال Transmission.

تأتي فكرة التأويلية دائمًا، للتَّعبير عن inter-prestation prestation intermédiaire هذه الّتي تفترض مُسبقا أن المعنى لن يكون في المستطاع فهمه أو تحْيينه actualisé من دونها:

لن يتم فهم نصٍّ، تحفة فنية، لسان أجنبي، قانون أو العالم، سوى **بعد القيام بعملية إخراج معنى لها** La mise en sens.وضعها داخل المعنى، هذا يدرجُنا ضمن **سيْرُورة إرساليته**:

لن نتمكن من فهم تأويليَّة ما، سوى إذا دخلناها بشكل ما. إن الفعل اللاتيني interpretari (المتداوَل أكثر من l'actif interpretare) هو ما يَطلق عليه النُّحَاة le grammariens " un verbe déponent" هذا الذي يماثل إلى حدٍ ما الصَّوْت voix المتوسِّط بالإغريقية، بمعنى أنه فعلٌ يتم إليه ربْط معْنى فاعلاً sens actif ، إلا أنه يتم تصْريفه مثل أفعال المفعول به passif ذلك لأن أمرًا ما « يحلُّ arrive » بمن ينجز الفِعْلَ.(10) إنه يتضمن شيئًا من فاعل actif ومفعول passif. ذلك ما نلاحظُه في الفعل "interpréter":

ففي كل مرَّة نكون بصدد نشاط activité، سيْرورة processus، إلا أنه يستمدُّ معناهُ من هناك، من النص المراد تأويله، المقطوعة المراد أداؤها، اللِّسان المراد ترجمته، القانون... ومن الوجود الَّذي يريد أن يقول (الَّذي « يَنْقَالُ » بشكل ما) والَّذي يكون الوسيط هنا le médiateur هو المؤوِّل l'interprèt.

تتوضَّع التأويليَّة داخل هذه "interstice". الأمر الذي يصدر عنه محاولة مزدوجة ضمن نظرية التأويليَّة، المفهومة بشكل جيِّد، الَّتي ربما يكون من الأفضل مقاومتها:

تلك المتمثِّلة في التأكيد بإلحاحٍ insister؛ إما على **طابعها الفاعل** actif أو على **الخاصّية المفعولية** passivité **لعملية الفهم**.

في **الأولى**، يجري (اتخاذ المؤوّل، أو لغتهُ، باعتباره المبدع والمحترف لمعنى قد لا يكون موجودًا من دونه،

أما في **الحالة الثانية**، فلا يجري الاعتراف له سوى بوظيفة مفعولية passive (سلبية) subalterne تلك المتمثلة في التعبير عن معنى قد يكون موجودًا من دونه.

ثمَّة مثل لاتيني يُضرب adage latin ، غالبًا ما ذكره(Emilio Betti)، يسمح بتوثيق هذه الثُّنائية sed efferendus، sensus non est inferendus(11) في ترجمة حرة: لا يجب "إقحام" المعنى (في النص) إنما الواجب هو استخراجه منه.

في كنف **رحمة** كل من (نتشه) ، (هيدغر) ، (سارتر-Sartre) و (دُولوز- Deleuz)، ظل **الهرمنوتيقيون المعاصرون** يؤكدون بقوة على فكرة أن التأويليَّة إنما تكون نشاطا **خلاَّقًا للمعنى**.

من دون الاعتراف بذلك، فإن ذكاء التأويلية هذا، يدينُ بالكثير **للمفهمة الحديثة للإنسانية**، من (ديكارت – Descartes) إلى (كانط – Kant).

بالنسبة لها، **الإنسان روحٌ محْض**، يتواجد صوْب **عالمٍ** ("متعدد" مشتّت، حسب كانط) **يجب** عليه **ترتيبُه** بمساعدة خطاطاته ومفاهيمه.

الفكرة المسبقة هنا هي مفهمةٌ ذات مذهب إسْميٍّ nominaliste إلى حدّ ما عن "العالم":

يشكل العالم كُتلةً في عطالةٍ inerte بما يكفي؛ خرساء من دوننا نحن؛ فكل معنى هو صادرٌ عن ذكائنا، الذي « يؤوِّل » العالمَ بطُرق مختلفة.

إذن يقع التأكيد هنا حكرًا على فعّالية تأويليَّة الذات l'activité d'interprétation du sujet

هذا ما يماثل/يتصل بالمصير الحديث للذاتية، هذه التي يكون المعنى لديها هو « الإنْقِحَامُ » infrendus/à introduire في العالم. إلا أن هناك سؤالا صغيرًا يسعى لطرح نفسه:

من أين تأتي عملية إدخال المعنى؟ هل من الروح؟ من النَّحْو ؟ من أيديولوجيَّة ما؟ من تاريخ الميتافيزيقا؟

كل ذلك على الرّحب والسَّعَةِ. لكن هناك ربّما جري نسيان المدى–المرْمى الأنطولوجي للتأويليَّة، علاقتها مع الوجود الذي يسْبِقها ويجعلها مُمْكنة. سنقوم هنا بضرب مثال بسيط جدًّا، نستمدّه من **العلم المعاصر**: لقد جرى مؤخرًا « اكتشاف » التركيبة الرَّقْميَّة لِلْجِينُومْ البشري.

يتعلق الأمر بدون تعرُّض لعملية تأويليَّة بالمعنى "الفاعل–actif" للمُصطلح. لا أحد كان له علم بها من قبل؛ ويُراهن بقوة أن ذكائها ذاك، سيتمُّ إرهافه و التدقيق فيه خلال المائة سنة القادمة. لكن من الواضح أن هذه التأويليَّة، إنما تريد التعْبير و ترجمة شيءٍ موجود qui est ؛ معنى ذلك، شيءٌ ما باعتباره لغات مصيرنا الوِراثيَّتي les langages de notre condition génétique

ما من شك في أن نظرياتنا حول الجينوم ما هي سوى تقريبات Approximations(وفرضيات)، إلاّ أنَّها تقريباتٌ **ذات معنى**، بل وحتى **ذات لغةٍ**، لأشياء تسبق حتَّى النظرية نفسها.

بأسلوب آخر؛ إذا كان الـ (معنى sensus) غالبا ما يظهر كـ (مُستنبط infrendus) (مُدخلٌ/منْقحمٌ، بطريقة، إلى حدٍّ ما اعتباطية، داخل الأشياء) فلا يجب أن ننسى بأن المستنبطَ efferendus يكون أيضًا، ما **يُستخرج** من **الأشياء** ومن **التُّحف** في حدّ ذاتها. حتى أنه عادة ما يُقال عن تأويليَّة بأنّها تمارسُ العُنف على النَّص أو العُنف و التَّفسير على التُّحفة التي يتعلق الأمر بإعادتها على أنها "بالغة الذاتية". ففي استطاعة التأويليَّة إذن، أن تعوّض التُّحفة في حدّ ذاتها.

قد يتعلق الأمر بخلق جديد بارع للغاية، لكن التأويلية التي تميلُ/ترْمي إلى تعْويض التُّحفة؛ رُبّما قد تنسى وظائفها، التي من بينها الوساطة médiation و الإرسال transmission.

أحيانًا يقول (غادامير) بأنّ التأويليَّة الأكثر نجاحًا هي تلك التي لا تثير الانتباه من حولها باعتبارها كذلك، وتختفي ضمن التُّحفة.(12) ذلك ما يُشاهَد في **المسْرح** أو **السّينما**:

إذا تقدَّم المِمَثِّلُ بتأويليَّة رائعة لشخصية ما، فليس ذلك لأنَّنا نُعجب بأداء المِمَثل، إنّما لأننا نعتقد كما لو أننا في حضرة الشخصية المستمثلة؛ و أنّنَا لا نستطيع تخيُّل الأمر خلاف ذلك. هذا ما يشاهد عادة في **الفنِّ التَّشْكِيليِّ** peinture. إنّ تُحفة الـ"le sacre de Napoléon" للفنَّان (دافيد-David) تجعلنا نشاهد الإمبراطور أفضل بكثير ممَّا تقدمه لنا أيّة بطاقة مصورة photographie أو أي سيرة ذاتية biographie. كما هو عند (ميكائيل أونج Michel-Ange) الّذي من خلال تُحفته la chapelle Sixtine يقدّم لنا واحدة من الاستمثالات الأكثر إقناعًا عن الله Dieux (حتى وإن لم يشاهدْه أحد قط). كذلك الأمر بالنسبة **للتَّرجمة**، لن تكون أبدًا ناجحةً سوى عندما **لا** يكون لنا **وعيٌ بأنَّنا نقرأ ترجمةً**.

لنْ يُشَاهَدَ **المُخْرِجُ**، **المُمَثِّلُ**، **الرَّسّام التَّشْكيليُّ**، **المُوسيقار**، **التُّرجُمَان**، **المُؤَوِّلُ**، أو **المُشَرِّع** الّذي يؤوّل قانونًا وهو يتبناه بطريقة مرنة سيّالة على العيِّنة الملموسة، لكن ليس ذلك لأن التأويليَّة تريد لنفسها أن تكون أكثر سرّية discrète، إنما بالعكس تمامًا، لأنها تتمتّعُ بمهارة virtuosité خارقة للعادة.

وهي تستثمر ضمن وظيفة **الوساطة**، فإن التأويليَّة تجد نفسها، مرّة واحدة، موزّعةً بين **قطْبين اثنين**، من الضروري الموازنة بينها: **قطب** بالغ **الموضوعيَّة وقطب ثانٍ** بالغ **الذَّاتيَّة**.هذا ما لوحظ داخل أنماط التأويليَّة التي جرى تميزها أعلاه.

في **التأويليَّة الفيلولوجيَّة**؛ إنه حقا، معنى النص، في حدّ ذاته، هوّ ما يجب استخراجه، إلا أنها لا تقوم بذلك، سوى عبر **وساطة** التأويليَّة.

نفس الشيء في حالة **التأويليَّة الفنيَّة**؛ حتى وإن ظُنَّ estime في الغالب الأعم، بأن المؤوّل يستمتع juit هنا بقدر أكبر من Latitude.

لكن، يبقى الأمر أنَّنَا **لا نستطيع تأويل تُحْفَةٍ كيْفما كان**، أو حسب رغْبتنا المفضلة. وإلاَّ؛ فلن يكون الأمر يتعلَّق بتُحفة نقوم بتأويلها، إنما فقط، نحن نقوم باستعراض **ذواتنا** أمام أنفسنا.

أما في **التأويليَّة التُّرجُميَّة**؛ يكون أيضًا من الواضح جدًّا بأن القطب **الموضوعي** هو الفائز. فالمؤوّل، باعتباره ترجمان، يجد نفسه **مشدُودًا إلى المعنى** الذي يجب عليه إرساله/بثُّه.

في هذا الإطار ماذا يكون أمرُ **تأويليَّة حُضُورنا في العالَم؟**

هنا، كل شيء يبدو وكأنه يعتمد على **الذَّات** sujet، على **لغتها** son langage، على **ثقافتها** وعلى **تاريخها**. هذا ما أدى بـ (نيتشه) إلى القوْل بعدم، وجود أحداثٍ faits، كل ما هناك تأويلاتٌ فحسْب. لكن هل ذلك هو عيْنُ الصّواب؟

فما يجري تأويله، أليس هو على الدوام معْنى ما، عالَمٌ ما، له السبْق qui excède والذي منذئذٍ يحكم التأويليَّة في حدّ ذاتها؟

جرى كلام فيما سبق هُنا، « عن تأويلية للطبيعة – »«interpretatio naturae

لقد وُجد مصطلح التأويلية هذا خصُوصًا ضمن عُنوان المؤلف الرائد لـ(فرانسيس بيكون- 1561-1626) Francis Bacon, *le Novum Organum sive, indicia vera de interpretatione nature* (1620)

لقد كانت تأويليَّة الطَّبيعة هنا، في تعارُض مع استشراف anticipatio الطَّبيعة الَّذي ساد حسب (Bacon)، في التقليد الأرسطوطاليسي.

لقد دافع (Bacon) إذن، على أنّ الطبيعة نفسها، في حركتها وذكائها الداخلي، هيَّ ما يتعلَّق الأمر بولوجه عن طريق التأويليَّة. لطالما فكَّرْت بأن هذا التّعْبير يعود لعصر آخر، عندما وجدتُه من جديد داخل هذه الحدائق النَّباتية أو هذه المحْمِيَّات الإيكولوجيَّة، أين نجد اليوم « مراكز للتأويليَّة » centres d'interprétation . وظيفتها هي مُساعدتنا على فهْم روْعة الطبيعة و كيفية اشتغالها fonctionnement.

هنا، يكون في استطاعتنا القول بأن **القطب الموضوعي** هو الذي يستعيد حُقوقه:

الطبيعة هي ما يتعلق الأمر باكتشافه. وعليه، لن يكون في استطاعتنا القول إذن، كما يقال في العادة، بأن كل معنى هو صادر عن تأويليَّة أو أن كل شيء هو قضيةُ تأويليّةٍ. ذلك لأن **التأويليَّة نفسها، تعود لشيء آخر**. وربّما لن تكون **التأويليَّة** أبدًا **نفسها** سوى عندما **تنْسى نفسها بالذات أنها كذلك**.

Jean GRONDIN

إحالات و هوامش:

1. بكلّ أسف، حتّى الآن ما زالت أعمال (**بيتّي–Betti**) غير مترجمة إلى الفرنسية، سيُسمح لي بالإحالة لتقديميّ العام ضمن "الهيرمينوتيقا كعلم صارم حسب "**إيمليوبيتّي**" dans *l'horizon herméneutique de la pensée contemporaine*, Paris,Vrin,1993,pp.155-177

2. Voir **G.Vattimo**, *la fin de la modernité :nihilisme et herméneutique dans la culture moderne*, Paris, Seuil, 1987; *Ethique de l'interprétation*, Paris, la Découverte, 1991

3. فيما يتعلَّقُ بهذه الإختلافات، تُراجع دراستنا حول "العبور من هيرمينوتيقا (**هيدغر**) إلى تلك الّتي لـ (**غادامير**) " ضمن كتاب *le tournant herméneutique de la phénoménologie*, Paris, PUF, coll. « philosophie», 2003, pp. 57.

4. Voir **M. Heidegger**, *Ontologie. Herméneutique de la facticité*, cours de semestre d'été, Œuvres complets (*Gesamtausgabe*), t. 63, p. 64 .

5. **H. G. Gadamer**, *Vérité et méthode. Les grandes lignes d'une hérméneutique philosophique* (1960), Paris, Seuil, 1996.

6. Voir **J. Derrida**, «*la sructure, le signe et le jeu dans le discours des sciences humaines*», dans, *L'Ecriture et la différence*, Seuil, 1967, collection «Points», 427.

7. Ibid.

8. Ibid.

9. **P. Ricœur**, *De l' interprétation. Essai sur Freud,* 1965 *; Le conflit des interprétations. Essais d'herméneutique*, Seuil, 1969. Voir aussi son essai récapitulatif sous le titre «*De l'interprétation*» dans *Du texte à l'action. Essais d'herméneutique II*, Seuil, 1987, pp. 11-35.

10. سيُسمح لنا بإثارة أمثلة أُخرى عن هذه الأفعال «déponents»: imaginari (imaginer), cunctari (hésit

11. Voir **E. Betti**, *Zur Grundlegung einer allgemeinen Auslegungslehre* (من أجل التّأسيس لنظريّة كوْنيّة في التّأْويليّة)،

1954, nouvelle édition Mohr Siebeck, Tubingen, p. 21

12. Voir **Hans-Georg Gadamer**, *Esquisse hermémeutique*, Paris, Vrin, 2004, p. 232 : « ماهوّ إذن معيار التّأويليّة الصّحيحة؟ يسْألوني مئات المرّات، ويفاجأ النّا س و هم يسمعوني أقول ، فيما يتعلّق بتّأويليّة قصيدة شعريّة، بأنّ معيار تأويليّة "صحيحة"هوّ أنّها تختفي مطلقاً مباشرة إثر إعادة القراءة ذلك لأنّ كلّ شيء سيصبح إذن بديهيًّا جدّاً.»

الوجود l'Etre

التأويليّة l'interprétation

الْمُؤَوِّلُ l'interprétant - l'interprète

فنون التَّأْويليَّة Les Arts D'interprétation

فنون اللِّياقـــــــة arts de performance

فعل التأويل Interpréter

التأويلية الفنِّية interprétation artistique

التأويلية النَّقْدية interprétation critique

التَّرْجَمَةِ La traduction

مؤوّل – تُرجُمان interprète

التَّأْويليَّة القانونيّة–القضائيّة interprétation juridique

النَّظريَّة العامَّة للتَّأويليّة théorie générale de l'interprétation

الكوْنيِّ–العالميِّ–الكُلِّي universalité

معنى معرفي sens cognitif

خَطَاطَاتٍ schèmes

معنى تاريخي sens historique

معنى أيديولوجي sens idéologique

معنى تاريخي sens historique

نماذج المعرفة paradigmes

اللُّغَةِ langage

الحضور الكلّي ubiquité

الْعَدَمِيَّة nihilisme

مصيرٌ بهيجٌ condition heureuse

التَّنَاهي finitude

الموات– الفناء sa mortalité

مشروع تفهُّمِيَّة projet de compréhension

هيرمنوتيقا–تأويليَّات Herméneutique

التَّفْكِيكيَّة déconstruction